المبحث الثالث

العولمة وأخلاقيات الشباب العربى

العولمة وأخلاقيات الشباب العربى

تمهيد :

لا شك أن «العولمة» تعد أهم مقومات العالم المعاصر، حيث أخذت المساحة الأكبر من الحوار والنقاش على الساحة العالمية فى النصف الثانى من القرن العشرين فضلاً عن أنها لا تزال تمثل فى مطلع القرن الحادى والعشرين ظاهرة الظواهر فى كل مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية على الصعيد العالمى.

ومن هنا تأتى أهمية بحث تأثيرها فى كل هذه المجالات على حياة الإنسان فى العالمين العربى والإسلامى وخاصة على الشباب حيث أنه الأكثر تأثرًا بكل ظواهر العولمة وخاصة فى المجالين الأخلاقى والاقتصادى.

أولاً : ما هى العولمة؟ ومن هو الشباب «المعولم»؟ :

العولمة فى اعتقادنا ظاهرة تاريخية[1] يقصد بها بوجه عام ذلك التقارب الذى حدث بفعل آليات وعوامل تكنولوجية عديدة استحدثت بين الشعوب والدول للدرجة التى دعت البعض إلى القول بأن العالم صار أشبه بقرية واحدة وقصدوا بذلك أن الكل يتأثر ويؤثر فى الكل نتيجة سرعة انتقال المعلومات وسرعة انتقال رؤوس الأموال والأفراد والسلع ونتيجة التشابه الذى بدأ يتنامى ويزداد بين ثقافات الشعوب المختلفة للدرجة التى أصبح من الممكن فيها الحديث عن خصائص واحدة يشترك فيها معظم الناس فى أرجاء العالم، وجملة هذه الخصائص تتبدى بوضوح فى معظم شباب العالم الآن: فالشاب «المعولم» هو ذلك الشاب الذى تراه فى جميع الأحوال أنيقًا يلبس الزى الغربى المعتاد، ففى الصباح كما فى المساء تجده يلبس إما الكاجوال المتمثل فى البنطلون الجينز

والتى شيرت أو تلك البدلة الأنيقة ذات الجرافتة الشيك حسب موضة العام وتجده فى معظم الأحوال حاملاً «اللاب توب» والتليفون المحمول آخر موديل. وهو الذى لا يتحدث إلا بلكنة تنم عن أنه يجيد اللغات الأجنبية وخاصة اللغة العالمية الشائعة: اللغة الإنجليزية. وهو الحريص على أن يتصفح المواقع المختلفة للشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) ويتباهى بأنه يحمل سيرة ذاتية C.V تتضمن حصوله على الشهادة الدولية لقيادة الحاسب الآلى ICDL وعدة دورات متقدمة فى اللغة الإنجليزية أو لغة أجنبية أخرى .

وكثيرًا ما يحب أن يلتحق بعد تخرجه من الجامعة سواء كانت خاصة أو حكومية ويفضل أن تكون الجامعة الأمريكية أو الألمانية أو الفرنسية مثلاً، يحب أن يلتحق بوظيفة فى شركة من الشركات الأجنبية متعددة الجنسيات حتى يحصل على راتب شهرى بالدولار يفوق ما يحصل عليه والديه فى كل سنوات خدمتهم الحكومية أيًا كانت المهنة التى يعملان بها وأيًا كانت سنوات خبرتهم فى هذه الوظيفة الحكومية أو تلك . وقبل كل ذلك وبعده فهو عادة ما يفضل أكل الوجبات الجاهزة «التيك أوى» التى تعدها مطاعم بعينها على الطريقة الأمريكية ولا يرى إلا وفى يديه «الكانز» و«البيريل» والسيجارة المارلبورو أو الكنت.. إلخ.

والحقيقة أن هذه الخصائص السابق الإشارة إليها للشباب المعولم إنما هى خصائص إيجابية لشاب نجح فى أن يلتقط الخيط الإيجابى لعصر العولمة ونجح فى أن يتعامل مع هذا العصر بآلياته ومؤهلاته ومن ثم فهو شاب عصرى ناجح بالمقاييس المعرفية والاقتصادية وإذا ما أضاف إلى تمتعه بالمؤهلات السابقة كونه شخصًا متواضعًا تقيًا متحليًا بالفضائل الأخلاقية والدينية التى تمثل العنصر الأهم فى هويتنا الثقافية القومية لكان بكل المقاييس النموذج الأمثل للشاب الذى نطمح أن يكون عليه كل أبنائنا؛ فنحن نطمح أن يكون شبابنا شبابًا عصريًا يمتلك المعرفة بكل آليات العصر متمسكًا بتلابيب كل مقوماته الإيجابية من تفكير علمى منظم وقدرات خاصة فى التواصل مع الآخرين

ومنافستهم فى كل مجالات العمل المختلفة، وفى ذات الوقت يكون شبابًا متمسكًا بكل قيم هويته الأخلاقية والدينية حيث أن هذه القيم الأخلاقية والدينية التى تمثل عناصر هويتنا القومية هى التى ستجعله قادرًا - رغم تعامله مع الآخر بلغته وآلياته العصرية - على توظيف كل إمكانياته المعرفية وإبداعاته العلمية لخدمة مجتمعه وبيئته فى المقام الأول، وستجعله بحق إبنًا لهذا المجتمع وقوة دافعة لتقدمه ورفعته .

وفى المقابل ستجد شبابًا معولمًا من نوع آخر ، وهؤلاء الشباب قد يشتركون مع أقرانهم السابقين فى المظهر الذى يظهرون به وفى امتلاك ثقافة العصر وآلياته لكنهم يبرعون فى تحويلها إلى تحقيق أكبر قدر من السعادة الفردية الزائفة حيث تجد هذا الشاب يجلس خاملاً بالساعات أمام جهاز الكمبيوتر يتصفح المواقع الإباحية ويدير المحادثات (الشات) مع فتيات ساقطات وشباب فاسد منحل أخلاقيًا، ويبحث عن كل ما يقوى لديه القدرة الجسدية على ممارسة الرذيلة فيتجه إلى إدمان المخدرات بأنواعها، ويبحث عن التمويل اللازم لممارساته اللاأخلاقية تلك بالسطو على حسابات غيره من البنوك وبطاقات الائتمان عبر إتقان آليات الهاكرز المعروفة والمتجددة وذلك بعد أن يكون قد جرب وقام بكل وسائل النصب والسرقة من المحيطين به ومن نظرائه.

إن هذين النمطين من أنماط الشباب المعولمة فى عصرنا يمثلان فى الحقيقة استثناء من الظاهرة، ظاهرة الشباب المعولم، فالواقع يشير إلى أنه من النادر أن تجد ذلك الشاب الذى يمتلك المهارات التى تؤهله للمنافسة العالمية فى عصر العولمة وفى ذات الوقت تجده من الملتزمين أخلاقيًا ودينيًا فمن المقولات الشائعة لدى الكثيرين من دعاة العولمة «أنه لا سبيل لفصل علمنة المجتمع عن عولمته»[2] وهذه إشارة إلى أنه لا يهم فى عصر العولمة أن نتحدث عن قيم أخلاقية ودينية لأن أساس التقدم فى هذا العصر هو امتلاك آلياته العلمية والتفوق الاقتصادى وتحقيق القيادة من خلالها، وعلى الجانب الآخر فالقليل من شبابنا هو الذى انجذب ناحية الانحراف الأخلاقى بفعل ثقافة وآليات عصر العولمة.

وعلى ذلك فإن الخلط بين التوجه الإيجابى والتوجه السلبى هو السمة السائدة بين شبابنا؛ فقد اختلطت لديهم القيم الإيجابية بالقيم السلبية لعصر العولمة نتيجة انعدام الوعى بالمعنى الحقيقى للعولمة ونتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية عديدة فى مجتمعاتنا العربية تؤدى دومًا إلى إحباط الشباب وفقدانه للهدف مما يؤدى إلى ذلك التوهان وتلك الحيرة التى يعانى منها بين أن يكون غربى الثقافة والهوى قاطعًا صلته بثقافته القومية وقيمه الأخلاقية والدينية، وبين أن يتحصن فى ثقافته القومية ويتمسك بقيمه الدينية والأخلاقية رافضًا الثقافة الغربية ومستجدات العصر كلها!

ثانيًا: الآثار السلبية للعولمة ثقافيًا وأخلاقيًا:

وعلى ذلك فإن توعية شبابنا بظاهرة العولمة فى جوهرها ومظاهرها مسألة ضرورية، فالمقصود الشائع عن العولمة باعتبارها تمثل تحولاً اجتماعيًا جذريًا سيجعل من المجتمع الإنسانى مجتمعًا موحدًا فى جوهره ومظاهره مسألة لم تتحقق بعد[3]، وهى لن تتحقق «فالإختلاف بين قطاعات البشر من ناحية نمط الحياة ورصيد المعتقدات تعتبر أكبر والعناصر المشتركة أكثر عمومية من أن تسمح لنا ولو بتصور وجود ثقافة عالمية» على حد تعبير أنتونى سميث[4].

ولذلك فإن احتمالات نشأة ثقافة عالمية موحدة تعد ضعيفة - فى نظر مايك فيذرستون - رغم كثافة التدفقات الثقافية العالمية وسرعتها فى تدعيم الشعور بأن العالم كيان واحد[5]. فهناك عوائق كثيرة تحول دون عولمة الثقافة، تلك الثقافة الغربية الأمريكية التى يراد أن يتقولب فيها وتتأثر بها كل شعوب العالم. فأمركة العالم ثقافيًا واقتصاديًا هو المقصود الفعلى للعولمة، وهذه الأمركة لن تتحقق رغم كل ما نشاهده الآن من صور التأثر بالثقافة الأمريكية فى شتى الجوانب. وما ذلك إلا استنادًا إلى الفهم الواعى لحقيقة أن البشر خلقهم الله مختلفون فى كل شىء فكيف نتصور ولو نظريًا أنه يمكن صبهم فى قالب ثقافى واجتماعى واقتصادى واحد. إن سلبيات هذا التصور الخاطئ لقولبة البشر منها:

1 - القضاء على التنوع الذى خلق به الله البشر؛ فالبشر أجناس مختلفة وبيئات متفاوتة وظروف اجتماعية واقتصادية متنوعة. ولا يمكن تحت ضغوط وبأى وسائل تكنولوجية مهما بلغت درجة تأثيرها أن يقضى على كل هذه الاختلافات التى فرضت هذا التنوع البشرى المحمود .

2 - وأد الإبداع ، فالتنوع البشرى القائم على فردية الفرد واختلاف البيئات والظروف التاريخية سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، هو أكبر دافع لتنوع الإبداع البشرى وأهم منابع الثقافات المتنوعة وهو الذى يجعلنا دائمًا نتحدث عن «ثقافات» متنوعة وليس عن ثقافة واحدة بصيغة المفرد .

3 - إن محاولة تنميط الثقافات البشرية وقولبتها فى ثقافة واحدة هى الثقافة الغربية عمومًا والأمريكية خصوصًا يعنى مخاطر شتى حيث أن الثقافة الغربية عمومًا والثقافة الأمريكية على وجه الخصوص معروف أنها على حد تعبير أحد الفلاسفة ثقافة البُعد الواحد. وسلبيات هذه الثقافة وخاصة على الصعيد الأخلاقى تتمثل فيما يلى :

(أ) الاتجاه نحو تغليب القيم اللذية على القيم الأخلاقية والدينية فالإشباع المادى لرغبات الجسد هى المقصود الأهم للثقافة الغربية السائدة. وهذا من شأنه الإخلال بالتوازن داخل الإنسان. وكم نادى الفلاسفة والمفكرون بضرورة إعادة هذا التوازن المفقود فى الثقافة الغربية والأمريكية المعاصرة دون جدوى[7].

(ب) إن سيادة الثقافة الغربية والأمريكية المعاصرة وعولمتها بصفتها السابقة يعنى تغير المثل الأعلى للإنسان الذى درج البشر على تأكيده عبر ثقافاتهم وحضاراتهم وديانتهم المختلفة إلى ما يسمى الآن «بالإنسان الاستهلاكى»، ذلك الإنسان الذى انحصر طموحه فى إشباع لذاته والاستمتاع بكل ما يمكنه اختراعه من وسائل جديدة تحقق له هذا الإشباع وذلك الإستمتاع.

(جـ) إن عولمة الثقافة تعنى ضمن ما تعنى فقدان الانتماء القومى لصالح الانتماء الكونى ؛ فالفرد فى زمن العولمة يعد فى نظر نفسه وفى نظر دعاة العولمة فردًا كونيًا ومواطنًا عالميًا مما يقلل لدى أى فرد فى أى دولة وفى أى مكان فى عالم اليوم انتماؤه إلى بلده وإلى قيمه المحلية .

(د) كما أن فقدان الانتماء القومى يعنى ضمن ما يعنى اتساع موجة التغريب بين الشباب فهم لم يعودوا ينتمون إلى مجتمعهم المحلى بقدر ما يتفاخرون بإنتمائهم إلى ثقافة غازية غريبة عنهم وعن بيئتهم المحلية وعن معتقداتهم الأخلاقية والدينية الأصيلة .

(هـ) شيوع مبدأ الغاية تبرر الوسيلة يعد نتيجة طبيعية لسيادة ثقافة الإشباع الجسدى، فما دامت الغاية هى اشباع رغبات الجسد فلا يهم من أى وسيلة أحصل على هذا الإشباع ومن هنا تتردى العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، بين الآباء والأبناء ويتمرد الشباب على كل الروابط والقيم الأسرية والاجتماعية.

(و) تكريس ثقافة التفاوت الرهيب بين الأثرياء والفقراء؛ إذ من شأن ما يسمى بالعولمة الاقتصادية أو الاقتصاد الكوكبى تحول الشركات متعددة القوميات إلى شركات عابرة للقوميات يمكنها التلاعب باقتصاديات العالم والتساؤل هو: ماذا ستفعل الشعوب إزاء تلك الشركات الرأسمالية النفاثة التى تعمل وفقًا لمبدأ «إما أن تأكل أو تُؤكل» على حد تعبير مدير إحدى الشركات الأمريكية[8]. إن تلك الرأسمالية النفاثة تصر على أن تصل إلى أكبر قدر من تكديس الثروة فى يد أصحاب المشروعات الكبرى ولا تترك للآخرين إلا الخليط من التسلية المخدرة والتغذية الكافية التى تهدئ خواطرهم المحبطة على حد تعبير مؤلفى كتاب «فخ العولمة»[9]. ولا شك أن قطاعات كبيرة من سكان دول العالم النامى قد بدأت تشعر فعلاً بهذا التفاوت الرهيب بين القلة التى تملك كل شىء وتتلاعب بالكثرة الغالبة التى توقف حلمها عند

الضرورى من المأكل والمشرب وعند توفير حوائط أربع ذات سقف تحميهم من الموت جوعًا وعراءً . لقد أسفرت الأزمات المالية المتعددة من عشرين سنة - على حد تعبير إيتهان كابشتاين - عن نتائج مفزعة لاسيما بالنسبة إلى الفئات الأشد عوزًا والمحرومة غالبًا من الخدمات الاجتماعية وخاصة فى أوربا الشرقية والبلدان النامية[10] . لقد أصبحنا نعيش فى ظل العولمة بالفعل عصر مجتمع «الخمس الثرى والأربعة أخماس الفقراء» على حد تعبير بعض الاقتصاديين[11] .

ولعل السؤال الآن هو : كيف نواجه هذه الآثار السلبية لثقافة ولأخلاقيات العولمة وكيف نجنب شبابنا الوقوع فى براثنها والتأثر بها؟!

ثالثًا : استراتيجية مقترحة لمواجهة الآثار السلبية للعولمة على أخلاقيات الشباب فى العالم الإسلامى :

بداية لابد من التأكيد على ضرورة الاستفادة من آليات عصر العولمة؛ فالتعامل معها بإيجابية يجعل من شبابنا قادرًا على التعامل مع العصر بآلياته المعلوماتية والتعليمية والتدريبية وتجعله قادرًا بالتالى على المنافسة فى سوق العمل الدولى فليس الشباب العربى بأقل قوة أو قدرة من شباب الهند أو اليابان أو الصين أو ماليزيا أو غيرها، فهو قادر إن أحسنا تعليمه وتدريبه وتوجيهه على المشاركة الإيجابية فى حضارة العصر وقادر على الإبداع والمنافسة رغم عظم التحديات وقلة الإمكانيات.

لكن الحرص على التعامل مع الجوانب الإيجابية لعصر العولمة والاستفادة منها لخير أفرادنا ومجتمعنا لا ينبغى أن ينسينا حقيقة أننا كثيرًا ما نفعل الشر فى الوقت الذى نظن أننا نفعل الخير. وفى المقابل كثيرًا ما تكون السلبيات والشرور دافعًا للكثير من الإيجابيات والخيرات . وهذا يعنى أن إدراكنا لسلبيات عصر العولمة التى أشرنا إليها فى الفقرة السابقة هو بداية الوعى بالطريق الصحيح للتعامل معها وتجنيب شبابنا آثارها السلبية .

وفى اعتقادى أن التعامل الإيجابى من جانبنا مع عصر العولمة وخاصة فى جانبها السلبى ينبغى أن يستند على أسس معينة يمكن أن تشكل استراتيجية عربية لمواجهة مخاطر العولمة :

أولاً : تقوية قيم الثقافة القومية فى نفوس الشباب بحيث يشبون واعين بالقيم والمبادئ الحضارية العربية والإسلامية وخاصة الداعية إلى التوازن بين مطالب العقل والروح ومطالب الجسد ، وتغليب المصالح العامة والمجتمعية على المصلحة الذاتية والداعية كذلك إلى قيم التعاون والحوار مع الآخر.. إلخ.

إن من شأن تقوية عناصر الثقافة القومية والهوية الحضارية العربية والإسلامية فى نفوس الشباب تكوين ذلك الذى يحلو للبعض تسميته «بالأمن الخلقى» لدى أبناء المجتمع وخاصة من الشباب. وإن كنت أعتقد بضرورة أن يتكامل دور المؤسسات التعليمية والتربوية مع دور الأسرة فى تحقيق ذلك. فضلاً عن أن الأمن الخلقى يتحقق فى الأساس عن طريق الضمير الفردى والالتزام الشخصى الداخلى وذلك لا يتم تكوينه من الخارج بل من داخل الشخص ذاته وحرصه على الإلتزام الدينى والأخلاقى والتوافق فى ذات الوقت مع ضرورات الحياة والتطور الذى يلحق بكل نواحيها[12] .

ثانيًا : بناء عناصر القوة الذاتية، فقوة أى أمة كما قلت فى مؤلفات عديدة سابقة[13] – إنما تنبع من داخلها وليس من خارجها؛ تنبع من إعادة البناء الذاتى لثقافتها واقتصادها وعلومها وتكنولوجيتها وليس بالاعتماد على الآخر أيًا كان ومهما كانت درجة تقدمه وتفوقه .

ثالثًا : تحديث نظمنا التعليمية بحيث يكون أهم عناصرها هو تدريب أبناءنا على التفكير العلمى والفلسفى والنقدى الذى يكسبهم مهارات التحليل والقراءة النقدية لكل ما يطالعونه سواءً من كتب التراث أو من الكتب الغربية ويجعلهم قادرين على مواجهة عصر المعلومات بعقلية نقدية تستوعب كل ما يفيد وتستبعد كل ما يضر ويضيع الوقت ويهدر الجهد، فإذا كان عصرنا معروفًا بأنه

عصر المعرفة والمعلومات فالتعامل معه ينبغى أن يكون من خلال استراتيجية مبسطة مفادها : الإقبال على التعامل مع كل جديد بعقلية نقدية مبدعة قادرة على أن تستفيد وتفيد. إن المشاركة فى حضارة العصر ضرورة حتمية ولن تكون المشاركة إيجابية إلا ببناء هذه العقلية النقدية المبدعة[14] .

رابعًا : تقوية دور الأسرة والمجتمع فى إرشاد الشباب للتعامل الإيجابى مع عصر الكمبيوتر والانترنت وذلك لا يكون إلا بزيادة وعى الآباء والأمهات بضرورة الإلمام بهذه التقنيات الجديدة والتدرب على استخدامها حتى يكونوا مؤهلين لتوعية الأبناء إلى الاستخدام الصحيح لها والحيلولة دون وقوعهم فى الخطأ فى استخدامها، وإبعادهم عن ما يسمى الآن بظاهرة الإجرام الانترنتى أو الانحراف الإنترنتى التى أدت وتؤدى إلى لجوء الشباب من ذوى القدرات العقلية العالية إلى توظيفها لارتكاب الجرائم بطريق الإنترنت مثل أفعال الابتزاز والإفساد المتعمد لأنظمة معلومات الغير أو التهديد أو سرقة الأسرار[15] .. إلى آخر هذه القائمة من الأفعال الإجرامية لمستخدمى الإنترنت بطرق احتيالية يجرمها القانون.

خامسًا : نشر ثقافة الإنترنت فى مجتمعنا المصرى والعربى على نطاق واسع لأنها لم تعد ترفًا الآن، بل أصبحت ضرورة حتمها التطور التكنولوجى المعلوماتى ولابد من التعامل مع هذا التطور بشكل إيجابى. وهذا سيتطلب - حسب رؤية المختصين - من الجهات التى تملك الخبرة المعلوماتية المتقدمة ونظم أمن المعلومات فى الوزارات والهيئات المختلفة رسمية كانت أو أهلية أن تعد العدة لمواجهة المخاطر المترتبة على المعلوماتية ويجب أن ترتكز خطة نشر هذه الثقافة المعلوماتية - الانترنتية على ما يلى من محاور عدة منها :

(1) تحذير الأبناء من إعطاء معلومات شخصية عن أنفسهم للأشخاص الذين يتم التعارف بينهم عن طريق غرف الدردشة فى الإنترنت.

(2) تحذير الأبناء من مخاطر تنظيم لقاءات مباشرة مع أحد الأشخاص الذين تم التعرف بهم عن طرق الإنترنت دون إستشارة الوالدين أولاً.

(3) وضع جهاز الكمبيوتر فى غرفة المعيشة أو أى منطقة مفتوحة فى المنزل أو فى النادى.. إلخ.

(4) استخدام أنظمة حماية أو برامج تتيح للآباء معرفة المواقع التى زارها الأبناء عند انشغال أو غياب الآباء أو تمنعهم تلقائيًا من الدخول إلى المواقع المحظورة[16].

(5) تأمين شبكات الكمبيوتر ضد الاختراق إذ من الحماقة أن يترك المرء أو المؤسسة نظامه المعلوماتي بدون حماية بحيث يسهل الوصول إليه[17].

سادسًا : وضع تشريعات ومواثيق أخلاقية عربية للتعامل مع الإنترنت بحيث يمكن تنظيم التعامل مع كل تقنياتها ومواكبة التطورات المتلاحقة فى هذه التقنيات، ويمكن من خلالها كذلك وضع سياسة جنائية رشيدة تمكن المختصين من مكافحة جرائم الإنترنت وتدريب العاملين بالقضاء أو بالشرطة على أحكامها وتنفيذ هذه الأحكام[18] .

ولا شك أن هذه القواعد والمواثيق الأخلاقية العربية ستنبثق من المواثيق الأخلاقية الدولية التى تحدد التعامل مع الإنترنت وهى القواعد الأخلاقية بالشبكة الموجهة إلى مستخدميها لضبط تعاملهم مع محتوى الإنترنت وتقنيات الشبكة وتنقسم هذه القواعد الأخلاقية إلى أقسام ؛ فمنها قواعد خاصة باستعمال البريد الإلكترونى وأخرى خاصة بمواقع الحوار والدردشة وهو الاتصال بين شخص وشخص، وقواعد لإتصال شخص بجماعة وقواعد لضمان صيرورة خدمات المعلومات على الإنترنت[19] .

سابعًا : العمل على المشاركة الإيجابية فى المحتوى المعرفى للإنترنت على المستوى الدولى، فالإنترنت عكس كل وسائل الاتصال الأخرى المكتوبة والمسموعة يمكننا من أن نحقق ذاتنا من خلاله إذ أننا - على حد تعبير جوال دى رسناى - أصبحنا فاعلين ومتفاعلين معه نتمتع بإمكانية إنشاء النص وطبعه ونستطيع أن نكون منتجنا التليفزيونى الذاتى بفضل الفيديو على شبكة الإنترنت، لقد أصبح

بإمكاننا إذن أن نشارك فى الفعل ونشارك فى الإبداع، أصبح بإمكاننا أن نتشارك فى التبادل المعرفى؛ فعلى خلاف البريد الإلكترونى الذى يقوم بدور تبادل الرسائل أو بعض الاتصالات المسئولة عن تبادل الكلمات ، يمكننا أن ننشئ بأنفسنا روابط ضخمة على صحيفة شخصية أو على صحيفة مؤسساتنا أو جمعياتنا تحيل شخصًا ما على أى موقع آخر فى أى مكان فى العالم[20] .

وببساطة أصبح بإمكان كلامنا فى أى مكان من العالم أن يكون مؤثرًا فى الآخرين عبر ما ينشره عليهم من خلال موقعه الخاص على الإنترنت، ومن ثم فكما نتأثر نحن ويتأثر شبابنا بالتدفق المعلوماتى الغربى عبر هذه الشبكة العنكبوتية العالمية، يمكننا ويمكن لأبنائنا التأثير فى هذا المحيط المعلوماتى عبر تدفق معلوماتى عربى - أو بأى لغة أجنبية عالمية أخرى نجيدها - يعبر عن قيمنا وهويتنا ويدافع عن قضايانا وينشر إبداعنا ليطلع عليه العالم الغربى ويتأثر به الناس فى الغرب .

إن العالم الآن عبر هذه الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) أصبح يتجه إلى نوع جديد من المواطنة و إلى شكل جديد من الديمقراطية يمكن أن يتشارك فيه الجميع - رغم اختلاف جنسياتهم وهوياتهم ولغاتهم وقومياتهم - فى الرأى وفى الحكم على الأشياء وفى الاستفادة المعلوماتية المتبادلة. إنها المواطنة والديمقراطية الإنترنتية إذا جاز التعبير التى ربما تشكل فى المستقبل القريب هوية جديدة تتجاوز حدود الزمان والمكان المحليين إلى حدود الفضاء اللانهائى غير المحدود. إننا نشهد اليوم انبثاق عالم فضائى جديد يحتوينا ويحيلنا بالضرورة - كما يشير دى رسناى - إلى إشكالية الهوية: فهل نحن مدمجون فى كيان واحد يتجاوزنا أم لنا مبادلات بين أفراد يحافظون على هويتهم الخاصة؟ هل نحن هويات للشبكة العنكبوتية أم نحن الشبكة ذاته؟ تلك هى المسألة الآن. وعلى حد تعبيره إن نظرية الشبكة تقول إننا الكل والجزء فى آن واحد ، ولكن - وكما يضيف هو - يتعين على السياسة والأخلاق وعلم الأخلاق بل يتعين على بعض الطموحات الروحية أن تجيب على هذه المسألة الأساسية[21] .

والحقيقة أن هذه الاشكالية - إشكالية الهوية فى عصر الإنترنت لا تهم كثيرًا هنا إذا ما كان المرء بهويته وقيمه وعقيدته جزءً منها ومشاركًا إيجابيًا فيها. فقد يكون هو - رغم أنه أحد الأجزاء - القادر على أن يؤثر فى الآخرين ويضمهم إلى هويته الحضارية للدرجة التى يمكن أن يتوحدوا معه فيطالبون بما يطالب به، ويدافعون عن ما يدافع عنه ، ويؤمنون بما يؤمن به .

إن صراع الهويات إذا ما تكافأت مع الآخر فى المشاركة من خلال قيمى وعقيدتى وعلمى وإبداعاتى لن يكون ذا قيمة كبيرة؛ لأنه سيكون فى النهاية لصالح المبادئ والقيم الأكثر تعبيرًا عن إنسانية الإنسان والأكثر شمولاً فى نظرتها لعلاقة الإنسان بالكون وبالله وبالآخرين .

إن الصراع هنا سيستبدل بالحوار، والحوار سيمكن الطرف الأكثر إقناعًا من جذب الآخرين فيؤمنوا بما يؤمن به ويدافعون عن ما يدافع عنه. فهل نحن جاهزون لهذا الحوار الإيجابى العالمى عبر المشاركة فى صنع المحتوى المعرفى لهذه الشبكة العنكبوتية الكونية؟ أعتقد أنه سيكون بإمكاننا ذلك لو أحسنا الفهم ولو امتلكنا القدرة على التحليل والجدل والإقناع العقلى وقبل كل ذلك وبعده لو امتلكنا القدرة على الإبداع العلمى الذى يجعلنا قادرين على المنافسة والتفوق. وذلك هو التحدى الحقيقى لشبابنا الواعى فى عصر العولمة والمعلومات .

الهوامش والمراجع

1) انظر كتابنا: ضد العولمة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999م، ص48 وما بعدها .

وأيضًا كتابنا : ما بعد العولمة ، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة 2007م ، ص 40-42 .

2) بيتر باير : الخصخصة والتأثير العام للدين فى المجتمع العالمى، منشور ضمن كتاب: مايك فيذرستون، ثقافة العولمة، ترجمة عبد الوهاب علوب، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2000م ، ص 370 .

3) انظر ستيفن مينيل : عولمة المجتمع البشرى كعملية اجتماعية بعيدة المدى، منشور ضمن المرجع السابق لمايك فيذرستون ، ص 149 .

4) أنتونى سميث : نحو ثقافة عالمية ، منشور ضمن المرجع السابق لمايك فيذرستون ، ص163 .

5) مايك فيذرستون : فى مقدمة لكتابه «ثقافة العولمة» السابق الإشارة إليه، ص11 .

6) راجع ذلك بالتفصيل فى دراستنا عن «العولمة الثقافية بين الإمكان والاستحالة» ضمن كتابنا: فى فلسفة الثقافة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة 1999م ، ص39 وما بعدها.

7) انظر على سبيل المثال : ألبرت اشفيتسر : فلسفة الحضارة، ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ومراجعة د. زكى نجيب محمود، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1963م ، ص 4-6 .

وراجع كتابنا : فلسفة التاريخ ، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة – سلسلة الشباب (214)، القاهرة 2004م ، ص 58 - 60 .

8) أنظر : بول هيرست وجراهام طومبسون : ما العولمة – الاقتصاد العالمى وإمكانات التحكم ، ترجمة فالح عبد الجبار ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة (273) ، سبتمبر 2001 ص 24.

وانظر كذلك : هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة، ترجمة د. عدنان دعبس ، سلسلة عالم المعرفة (238) ، الكويت ، 1989م ، ص 27 - 36 .

9) نفس المرجع السابق «فخ العولمة» – ص 35 - 36 .

10) ايتهان كابشتاين: عقد اجتماعى جديد فى سبيل مرحلة جديدة من العولمة، نشر ضمن كتاب: مفاتيح القرن الحادى والعشرين الذى صدر عن اليونسكو بإدارة جيروم بيندى، ترجمة مجموعة من المترجمين، صدرت الترجمة عن بيت الحكمة بتونس، قرطاج 2003م ، ص627 .

11) هانس بيتر مارتين وهارالد شومان، فخ العولمة، سبق الإشارة إليه، ص21 .

12) انظر : د. عثمان بن صالح العامر، دور المؤسسات التعليمية فى تحقيق الأمن الخلقى والمجتمعى فى عصر العولمة، ندوة المجتمع والأمن التى عقدت بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض 1425/2/21 هـ . http: //www. minshawi. com/other/aamer.htm

13) راجع على سبيل المثال: كتابنا: ضد العولمة، ص 54-55 .

وأيضًا كتابنا : ما بعد العولمة ، ص 128 - 133 .

وكذلك : فى فلسفة الثقافة : ص 127 وما بعدها .

وراجع أيضًا العديد من مقالات كتابنا : بين قرنين - معًا إلى الألفية السابعة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة 2000م .

14) أنظر : د. نبيل على : الثقافة العربية وعصر المعلومات ، الكويت - سلسلة عالم المعرفة (265) ، يناير 2001م ، ص 503 وما بعدها .

وراجع ما كتبناه بالتفصيل فى كتابنا : فى فلسفة التعليم - نحو إصلاح الفكر التربوى العربى للقرن الحادى والعشرين ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة 2009م ، ص 80 وما بعدها .

15) انظر فى ذلك : د. عبد الفتاح بيومى حجازى، الأحداث وجرائم الإنترنت - دراسة متعمقة فى أثر الإنترنت فى انحراف الأحداث، دار الفكر الجامعى بالإسكندرية 2002م ، ص - 281 275 .

وراجع أيضًا : الأمن والإنترنت - مجموعة بحوث ودراسات عن الأمن المعلوماتى، صادرة عن مركز البحوث والدراسات بشرطة دبى وموقعه WWW.dubapolice.gov.ae

16) د. عبد الفتاح بيومى حجازى، نفس المرجع السابق، ص 290 - 291 .

17) نفسه ص 292 .

18) انظر ، نفس المرجع السابق ، ص 299 .

19) د. علوى هند : أخلاقيات الإنترنت - دراسة تحليلة ميدانية من خلال منظور الأساتذة الجامعيين بجامعة منتورى بقسنطينة، cybrarians journal العدد 15 مارس 2008م .

20) جوال دى رسناى: معلومات - شبكات - هويات ، ضمن كتاب «مفاتيح القرن الحادى والعشرين»، سبق الإشارة إليه ، ص 395 - 396 .

21) نفسه ، ص 398 .